على هامش معالم التقريب *

لب الإسلام هو اليقظة لله و فى الله

يقف محمد عبد الله محمد ملاحظاً كثرة إعلاننا عن الولاء لكتب آبائنا وعلمائنا رضوان الله عليهم، فهل ترانا نفهمها تماما كما فهمها أصحابها ؟

ذلك فيه شيء من الوهم، لأننا نقرأ تلك الكتب القديمة ـ لا محالة ـ بعقليتنا وأفهامنا نحن،ونكسو حلال ذلك ألفاظها وعباراتها بمعانى أمثال هذه الألفاظ والعبارات لدينا، أى بما يوافق أفكارنا وأذواقنا فى عصرنا .. وهذه عملية تقريبٍ تجرى لدينا دون أن نشعر بها أو نتفطن إلى أنا لا نستعمل فيها إلا مفاهيمنا نحن ومعاييرنا وتصوراتنا للقيم، بما فى ذلك معنى القداسة ذاته .

والذى لاشك فيه، أن رضاء الناس عن دينهم رضاء حقيقى لا رياء ولا نفاق ولا مداهنة فيه، فالقوانين يمكن أن تعيش وتسرى وتنفذ وتفرض بالقسر والإرغام، ولكن الأديان لا تستقر فى حنايا الإنسان إلا بالقبول والرضا والاقتناع .. فرضاء الناس عن دينهم لا يمكن أن يكون إلا بقبول وجدانى وعقلى داخلى، ومن هنا كان هذا الرضاء الحقيقى بالدين ـ من جوانب الإيمان وأمرا ضروريا لحياة الدين فى نفوس الناس .

---

* المال ٢٠١١/١/٥

والقائمون على الدعوات، يحرصون على المحافظة على استدامة رضاء الناس عن دينهم، وهى مهمة لا تخلو من الدقة والمشقة، فليس مقبولاً تحقيق هذا الرضاء بإخضاع الدين لأهواء الناس، أو بابتذاله ومسحه ليوافق ما يريدون .. وإنما السبيل يكون فى نجاح بعضنا فى أن يثبت بسلوكه وحياته الخاليين من الادعاء والتصنع والتزمت ـ أن الامتزاج بالدين ومعايشته والأنس به ـ شيء قابل للحدوث فى هذا الزمن دون ابتذال أو مسخ .. نفهم ذلك حين ندرك أن الدين حركة روح وكيان، وليس مجرد فصاحة ألفاظ بتحريك اللسان والشفتين .

ربما كان علينا من واقع ذلك، أن ندرك أنا لم ننجح حتى الآن فى تقديم الإسلام تقديما صحيحا مخلصا عميقا الى الشباب، سيما الشباب المتعلم تعليما جاداً عاليا . يفوت الدعوات أنها لا تصنف نوعيات و مستويات الخطاب، فلا تبذل اهتماما خاصا كافيا للاقتراب من أقناع الشباب المتعلم تعليماً عالياً، اكتفاء فيما يبدو بالتوجه إلى عامة الشباب .. وقد يؤدى ذلك إلى إعراض العقول الشابة القوية المزودة بزاد مهم من العلم والثقافة الحديثين ـ عن الدين .. وهو إعراض خطر .. يحرم الإسلام من العقول القادرة على تحقيق اشتراك الإسلام والمسلمين فى التيار الرئيسى لحياة العصر ..

من حق هؤلاء الشباب المتعلمين تعليما جاداً عالياً، أن يجدوا الى جانب صولة بعض المتعمدين وفصاحة بعض المتكلمين، مكانة واضحة للإخلاص والشجاعة وإنكار الذات .. فبدون ذلك يصعب أن يتركوا ما هم فيه من إعراض أو عدم مبالاة !

ومن الشائع لدى كثيرين منا، الخوف على الدين من العلوم الوضعية الحديثة، ويخشون على الشباب منها، وهو خوف أحول لم

يعد له مكان .. فلا سبيل لصرف العقول عن هذه العلوم، وبدونها لا فرصة لبلاد الإسلام والمسلمين فى اللحاق بركب حضارة العصر.

لا تعارض بين الإسلام، وبين الإخلاص التام للحقيقة، فالإسلام ذاته هو دين الحق والحقيقة، والغاية الأساسية التى يتغياها العلم الوضعى - هى أن يقدم للبشرية المزيد من الفهم مع المزيد من الرقى .. المعنوى فى المقام الأول .. فليس هم العلم ولا مقصوده أن يسهل للبشر استبقاء واستدامة نقائصهم والاحتفاظ بميولهم الوحشية والهمجية .. فحين يستخدم العلم وتطبيقاته فى ذلك الاتجاه المدمر، تهب حتما - دون أن ندرى - رياح الموت !

إن لب الإسلام هو اليقظة لله وفى الله .. والقرآن والسنة لا يتصوران المسلم إلا قلباً ذاكراً لا يغفل عن ذكر الله عز وجل ..

إن لغة الدين والطر - لغة ذات ثلاثة أبعاد : طول وعرض وعمق .. وفى العمق - ذلك البعد الثالث الذى يميزها عن لغة العلم التطبيقي ولغة الحياة الجارية العادية - يكمن مخزونها الهائل الذى لا ينفد من المتعة والجاذبية والطرافة والاستبصار !

لا شك أن الإسلام دين ثرى ثراء ضخما، عاش بحكم هذا الثراء نيفا وأربعة عشر قرنا من التطبيق والتأثير فى جماعات واسعة مختلفة السلالات والعقليات والثقافات والأذواق والظروف، واختزن خلال ذلك خبرات هائلة يمكن أن تجعلنا أكثر وعيا وحكمة ورشاداً فى اختيار ما نواجه به الحياة وما نحاول به حل مشاكلنا، متى صادف هذا المخزون دراسة واعية دقيقة تتجاوز السطحية إلى التعبير البديع عن الإيمان العميق، وتعنى بجذب الشباب المتعلم الذى يفترسه القلق .

يقول محمد عبد الله محمد إنه ليس بالضرورة أن يكون الذين كتبوا وألفوا هم أفضل آبائنا إسلاما، ولا أن يكون أفضلنا اليوم إسلاما ـ هم الذين يتصدون للتأليف والكتابة .. وليس هؤلاء ولا أولئك أكثر المسلمين معرفة بحقيقة الإسلام وأكثرهم توفيقا فى السباحة فى بحوره .. لأن الإسلام أولا وأخيرا حياة ومكابدة ومعاناة، وليس مجرد كلام قد ينفع الله به أحيانا، وقد يضر به الناس أنفسهم أحيانا أخرى .. إن الكتابة يمكن أن تكون خطرة على الناس حين ينعزل من يكتبون الكلام عن حياة من يعيشون الواقع .. أو حين تتحه الكتابة إلى المجردات والنظريات وتزدرى الواقع المحدود القابل للتناول الفعلى .. وحين تحو إلى محاولة فلسفة الواقع بعموميات ومصطلحات فضفاضة تلتصق عباراتها وصيغها وشعاراتها بخيال الناس فتغطى على فطنتهم وتفسد فطرتهم !

يغيب فى زماننا عن اقتراحات الإصلاح التى تهط كالمطر من ملايين المصلحين، أن لب الإسلام هو اليقظة لله وفى الله، فتُبْعِد فى التركيز على ما هو خارج الإنسان، ولا تتفطن إلى أن الصلاح والإصلاح ينبغى أن يتجه إلى داحل الإنسان !